النواعير الفراتيه من هيت إلى عانه/دراسة تاريخيه

ا.د.فاطمة زبار عنيزان
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمه

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات التاريخية التي تقوم على أساس دراسة فكرة كانت ومازالت قائمة إلى عصرنا الحالي إلا وهي ((النواعير))،التي تقوم فكرتها على أساس رفع المياه من منطقه منخفضة هي النهر إلى منطقه مرتفعه هي الأراضي المجاورة للنهر ،وفق طريقه منظمة تؤمن انسياب المياه إلى تلك الأراضي الزراعية المجاورة للنهر،أي إنها ذات نفع زراعي بالدرجة الأولى فكر فيها الإنسان منذ أقدم العصور،ومع تقدم الأزمان ارتبط بهذا النفع جوانب عده منها اقتصاديه وجغرافيه وعمرانية وسياحية وغيرها من تلك الجوانب التي كان لكل واحد منها أثره على هذه العملية،ودراستنا لهذا الموضوع تقف عند الأصل التاريخي لنشأة النواعير عبرا لتاريخ من خلال بعض المصادر التاريخية التي تناولت جانب من هذا الموضوع.

١- الأصل التاريخي لنشأة النواعير

ذكرنا إن فكرة الناعور قديمه بالأصل تعود إلى استعماله لرفع المياه من منخفض مائي إلى مرتفع والسبب الذي دعي إلى استعمال هذه الوسيلة البسيطة هو الحاجة من آلاف السنين إلى كميات من المياه لإرواء الأراضي الزراعية [١]، وتتجلى هذه الاهميه بما تركه العرب عبر العصور التاريخية

من مؤلفات انصب اهتمامها على تلك الوسائل الزراعية وعملية إنمائها[٢]،وتشير المصادر التاريخية إن النواعير كانت معروفه عند العراقيين القدماء منذ آلاف السنين،وتعود هذه المعرفة إلى الألف الأول أو الرابع قبل الميلاد إذ عثر على كسر فخاريه تمثل جزء من بقايا الأواني التي عثر عليها في منطقة الفحيمي الواقعة بين حديثة وعانه،إذ كانت هذه الأواني تربط على الناعور وبواسطتها كان الماء يرفع من النهر إلى االاراضي المجاورة له من اجل إروائها[٣]،لاسيما إن

كلمة((ناعور)) مشتقه من الكلمة البابلية ((فئارو)) التي تعني((نعر))[٤]،وان نبوخذ نصر استعمل الناعور في رفع المياه إلى الجنائن المعلقة[٥].

٢- أهمية الناعور من خلال بعض المصادر

انفرد سكان الرافدين في استعمال الناعور المائي منذ أقدم العصور ولاسيما في مناطق أعالي الفرات على طول المنطقة الممتدة من هيت إلى عانه وفقا للحاجة الزراعية بالدرجة الأولى ثم تليها بعد ذلك المتطلبات الأخرى ولحد وقتنا الحاضر،وابرز تلك المصادر التي تناولت هذه الوسيلة المائية بالدرس والتحليل هي بعض المعاجم اللغوية وما يتعلق بها من مصادر أخرى،ومن أبرزهم الفراهيدي((ت١٧٥هـ)) الذي وصف الناعور قائلا((... من معاني الناعور انه ضرب من الدلاء))[٦]، وابن سيده ((ت٤٥٨هـ))الذي افرد في كتابه ((المخصص)) بابا للنواعير سماه((باب النواعير))[٧]،أما الزمخشري ((ت٥٣٨هـ)) الذي أورد الاسم الآخر للناعور قائلا((سمي كذلك النعيرة))[٨]،معرفا إياه أي ((الناعورة))،وإنها كانت معروفه ولاسيما الناعور الحيواني وكذلك وصف الدولاب عندما يرفع الماء من منسوبه المائي المنخفض إلى الأراضي المجاورة له[٩]،أما في لسان العرب لابن منظور((ت٧١١هـ)) فقد وردت مفردة النواعير بانها((والناعور:واحد النواعير التي يستقى بها يديرها الماء ولها صوت))[١٠]،إما الرازي الذي انفرد في كيفيه التي تدور بها هذه الدوالي قائلا((... وكل هذه الدوالي التي تغرق بالدور فإنها المنجنونات الواحدة منجنون ومنجنين))[١١]،أما الجوهري فكان وصفه للناعور لايختلف عن وصف ابن سيده من ناحية عمل الناعور قائلا((...الناعور دولاب مائي له قواديس أي كيزان تسمى العصامير،مفردها عصمور،يوضع في النهر فتديره سرعة جريه،فيرتفع الماء في العصامير وينصب في جدول على قناطر ثم تندفع المياه إلى المزرعة))[١٢]، مشيرا إلى مصطلح الناعور قائلا((... والناعور واحد النواعير التي يسقى بها ويديرها الماء ولها صوت))[١٣]،أما النويري(ت٨٢١هـ) الذي أشار إلى الأسباب الداعية إلى عمل النواعير فقد عللها إلى ثلاثة أسباب أو جاهات منها قوله((... والحاجة الداعية إلى ثلاثة أسهم،كأنها هقعة الأنجم،ممتدة امتداد الرمح،مقومة تقويم القدح،غير مشعة الإطراف،ولا مقعده الأعطاف ولامسوسة الأجواف،تحاسن الغصون بقوامه،والقدود بتمامها،وتخالف هيف بامتلاء خصورها وتساوي هواديها وصدورها،معتدلة القدود ناعمة الخدود،مع مليات أخذت النار منها فاسودت وتطاولت عليها مده الجفاف فاشتدت،وترامت بها مدة تشبه أخلاقه في هيجاء السلم، وتحكي صلابة أرائه في نفاذ الرأي ومضاء العزم،وتكظم على الماء

بغيضها،فتجود على الأرض بغيضه تمد أيدها في اقتضاء ارادتها،وتطلع طلوع الانجم في تلك ادارتها،وتعانق اخوانها معانقة التشييع،فاخر التسليم أول التوديع،على إنها تؤذن بحقائق الاعتبار وتجري مجرى الفلك المدار في قناة الأعمار))[١٤].

٢- النواعير الفراتيه

تشير اغلب المصادر بما فيها التاريخية والاثاريه والجغرافية إلى وجود لنواعير منذ أقدم ألازمنه أي من أيام الاكديين غي منطقة هيت من الانبار ،لاسيما ان هذه المدينة أي ((هيت)) تعد من أقدم المدن التي تقع على نهر الفرات وأعمرها ،كما يقول الإدريسي((...مدينه من غربي الفرات عليها حصن وهي من أعمر المدن...))[١٥]، وإنها في هوة من الأرض[١٦]، لذا كانت الأسباب مهيأة لاستعمال النواعير أو هذه الواسطة المائية لرفع المياه من النهر إلى الأراضي الزراعية المجاورة لها،ويعود ذلك إلى بعض الأسباب أو العوامل الجغرافية التي ساعدت او دعت إلى إرواء تلك المنطقة المحصورة بين نهر الفرات والهضبة الغربية لسقي تلك الأراضي الزراعية لاسيما أنها تعد من أقدم المناطق التي اعتمدت في ألزراعه على الري وتأسيس تلك الحضارة الاروائيه في العالم آنذاك[١٧]،لاسيما ان هذه المنطقة الممتدة من ((هيت))إلى ((عانه)) من إعمال الفرات كما يقول ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)((... مدينة عانه من إعمال الفرات...))[١٨]،كانت مهيأة لاستعمال هذه الوسيلة المائية من الناحية الجغرافية بالاستناد إلى وصف ابن بطوطة لهذه المنطقة التي لايشبهها أي مكان من البلاد إلا في الصين ، قائلا((...فوصلت إلى مدينة الانبار ثم إلى هيت ثم إلى ألحديثه ثم إلى عانه وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها كثيرة ألعماره كأن الماشي في سوق من الأسواق إنا لم نر مايشبه البلاد التي على نهر الصين الاهذه البلاد))[١٩]، إما وليم فيرى إن هذه المنطقة لاسيما المياه فيها كانت مهيأة بشكل طبيعي لتدوير تلك النواعير كما يقول((... البقعة ألكائنه بين عانه وهيت، والفرات في هذه المنطقة يمر بسلسلة من الشلالات غير منتظمة فيستعمل التيار المتكون منها في تدوير النواعير الكبيرة التي ترفع المياه فتسقي الوادي الضيق الذي ينتهي بالصحراء...واليوم بعد هبوط الشلالات – ذلك الهبوط الذي لاحظ نموه المطرد كتاب عصر أوغسطين- أصبح من الضروري الاستعانة بالنواعير في إرواء تلك البساتين والحدائق))[٢٠]،وقد بذل العرب بصورة عامة وأهالي تلك المنطقة الفارتيه بصورة خاصة جهودهم في هندسة الري من اجل إيصال المياه إلى الأراضي الزراعية المجاورة للنهر مستعملين التيار في تدوير النواعير

والدواليب المائية[٢١]،لاسيما إن التيار في هذه المنطقة الفراتيه يمتاز بكونه سريع وقوي جدا الأمر الذي يساعد في تدوير عجلة الناعور الثقيلة بالنسبة لمناطقه الأخرى التي لاتحتاج لهذه الوسيلة الاروائيه[٢٢]،لهذا فان ارتفاع مناسيب نهر الفرات في هذه المنطقة يودي في اغلب الأحيان إلى تخريب هذه النواعير اوا الدوالي،كما يشير ابن الأثير إلى ذلك في إحدى السنوات قائلا ((وفيها زادت الفرات تسعة اذرع فخربت بعض دواليب هيت...))[٢٣]، ورغم ذلك ظلت هذه المنطقة الفراتيه الممتدة من هيت إلى عانه متميزة بنواعيرها التي أضفت على هذه المنطقة جماليه فضلا عن أهميتها الاقتصادية بما فيها بالدرجة الأولى لضرورة زراعيه كما دل علي خيراتها ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ) قائلا((...بأنها بلده ذات نخل كثير وخيرات واسعة...))[٢٤]،ونقل وصفا لنواعيرها عن أبو عبد الله محمد بن خليفة شاعر سيف ألدوله صدقه بن منصور المزيدي،في قصيده منها:

فمن لي بهيت وأبياتها فانظر رستاقها والقصـورا
فياحبذا تيك من بلـدة ومنيتها الروض غضا نظيرا
وبرد ثراها إذا قابلت رياح السمائم فيها الهجيـرا
واني وان كنت ذا نعمة أجاور بالنيل بحرا غزيــرا
احن عليها على نائيها واصرف عن ذلك قلبا ذكورا

ولاتشير المصادر إلى استعمال الحيوانات في إدارة النواعير المائية في العراق ولاسيما في هذه المنطقة الفراتيه،الاماذكره التنوخي(ت٣٨٤هـ) في رواية له نقلها عن استغراب أمرآة من رؤيتها لنواعير تديرها الجمال ،كما يقول((إن امرأة من أهل الانبار كانت قد تجاوزت الأربعين سنة من عمرها خرجت من بيتها إلى بغداد في محنة عرضت لها ،وفي طريقها رأت جملا يدير دولابا فقالت ماهذا؟ فقيل لها: دولاب يديره حمل،فحلفت بالله إنها مارات جملا من قبل))[٢٦].

٣- مكونات الناعور

هو عبارة عن اله من الخشب مستديرة الشكل يبلغ طول قطر دائرتها حوالي من ٨او ١٠او ١٢متر،تدور كما تدور دواليب الهواء في الفضاء،فعندما يغطس نصفه في التيار أو ألفتحه التي تدور منها الناعور وتسمى(السيب) تمتلئ الجرار بالماء،وهي عبارة عن أوعيه مصنوعة من الطين المفخور ولا يزيد عددها على ٢٤ كوزا في الدولاب الواحد،وبعد الامتلاء ترتفع

نحو الحوض فينساب الماء إلى الساقية الرئيسة ثم إلى الحقول الزراعية(٢٧)،أما مكوناته فهي كالاتي:

١- العابر أو العوبر : عبارة عن جذع او ساق شجرة فحل التوت غليظة يبلغ قطرة حوالي ٥٠-٦٠سم وطوله مابين ٤-٦ أمتار،يحمل أجزاء الناعور الأخرى،وهو المحور الأفقي الذي ترتكز عليه الصلبان والأعواد.

٢- يرتكز العوبر والقلب على قاعدتين خشبيتين،من نفس الشجر تسمى السندان،وغالبا ماتثبت في البناء.

٣- الصلبان عبارة عن جذوع من أشجار التوت ،يتراوح طول الواحد منها مابين ٦-٧ أمتار صليبا يرتكز أكثرها ولاسيما الغليظ منها خول العوبر،وأما الرفيع منها أي النهاية عند الطوق،أما العيدان القصيرة فيثبت به قطعه خشبية من ساق الشجرة يسمى(الكركد)،كي يستطيل ويصل إلى الطوق،وما يميز الصلبان في النواعير الفراتيه،أنها غير تامة الاستقامة حسب مايكون عليه ساق الشجرة إثناء نموها.

٤- يربط على هذه الصلبان (الشريحة)،أو الريش،التي تصنع من عسب النخيل.

٥- إطار الناعور يتكون من إطارين يطلق على كل منهما اسم الطوق أو(ألطوك) المتكون من قطع أخشاب متلاصقة ((أي إطار مزدوج)) يسمى الخارجي منها((الظهارة)) والداخلي منه يسمى((البطانة)).

٦- تثبت الكفافات بعضها ببعض او برؤوس الصلبان بواسطة مسامير خشبية تسمى الحفوف.

٧- يوضع مابين الجزء الأسفل الغليظ ((قاعدة الصليب والعوبر))،أسافين كبيره الحجم يطلق عليها اسم ألدان أو الحشوة وظيفتها تثبيت الصلبان على العوبر حتى إذا مادار الناعور بإطاره يدور العوبر أيضا ولا يتزحزح من مكانه.

٨- وتربط على كل من الإطارين ((الطوقين))، كيزان من الفخار يطلق على الواحد مها اسم القوق((الكوك))، وهي أواني اسطوانية الشكل مصنوعة من الطين المفخور الذي يتم بعد ذلك ((تقييره)).

٩- تستعمل الحبال الغليظة في إيقاف دوران الناعور(٢٨).

النواعير في سطور الشعراء

للنواعير قصه ارتبطت بالهموم والحزن،فكان لبعض الشعراء أو كما نقل غيرهم من المولفين من تلك القصائد ارتبطت بهذه الحالة من الشجون مع الناعور نقتطف من هذه المقطوعات الشعرية نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر:

ناعورة تحسب من صوتها

متيمـا يشكـو الى زائـر(٢٩)

وقال أيضا:

وناعورة قد ضاعفت بنواحيها

نواحي وأجرت مقلتي دموعا(٣٠)

وقال أيضا:

لنواعيرها على الماء الحان

تهيج الشجا لقلب المعشـوق(٣١)

ووصف احد الشعراء كما نقل سبط بن الجوزي أصوات النواعير ماهي إلا أنين وتأوه وحنين،والمياه التي تقذفها إلى السواقي ،هي دموعها،كما يقول:

هذي تحن ومابيها وجـدي

واه مـن جـد الى نجـد

فدموعها تحي الرياض بها

ودموع عيني أحرقت خدي(٣٢)

الخلاصة

وبعد هذه الرحلة البسيطة والممتعة مابين هيت وعانة على ضفاف الفرات نخلص بان سكان العراق في هذه المنطقة هم الأقدم في ابتكارهم لواسطة الناعور وانه هذه المنطقة تسمى إقليم النواعير الذي يعد أوسع وأطول رقعه جغرافيه استعملت النواعير في سقي الأراضي الزراعية المحصورة بين نهر الفرات والهضبة الغربية ،لاسيما ان تلك الطبيعة الجغرافية لهذه المنطقة ساعدنها في استعمال النواعير التي كانت لها مميزاتها الخاصة بها منها : أنها تمتاز بالبساطة ودقه صنعها ،وغبر مكلفه،وإنها سريعة الدوران،وتعد الصلبان والكراكد والكفاف من أهم أجزاء الناعور ألفراتي الذي يقطع أخشابه من أشجار التوت الغير مستقيمة،ولا يستعمل الحديد في

صناعة النواعير الفراتيه مهما كانت ،ويستعمل الكيزان الفخارية ((القوا قه))لرفع المياه،ويستعمل الحبل الغليظ في إيقاف دوران الناعور.

الهوامش

١- أبو النصر:عادل، تاريخ ألزراعه القديمة،(بيروت،١٩٦٩م)،صـ١٧٥.

٢- العوام:أبو زكريا، الفلاحة الاندلسيه،(اسبانيا،١٨٠٢م)،٣/١٥٢،١٣٤.

٣- رشيد: فوزي،مقومات نظم الري في العراق القديم،(ندوة الري عند العرب)/(جامعة بغداد،مركز إحياء التراث العلمي العربي،١٩٨٩م)،صـ١٤٧.

٤- م.ن.

٥- أبو النصر:م.ن،صصـ١١٣-١٢٨.

٦- الفراهيدي:الخليل بن احمد(ت١٧٥هـ)،كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،(بغداد،١٩٨١م)،٢/١١٩.

٧- ابن سيده:أبو الحسن(ت٤٥٨هـ)،المخصص،(القاهرة،الاميريه،١٣١٩هـ)،٩/١٦٢-١٦٣.

٨- الزمخشري: جار الله أبو القاسم (ت٥٣٨هـ)، الكشاف،تحقيق عبد الرحيم محمود،(القاهرة،١٩٥٣م)،صـ صـ١٦٢-١٦٣.

٩- ابن سيده:م،ن،صـ صـ١٦٣،١٦٢.

١٠- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط١(بيروت، دار صادر)، ١/٢٢٢.

١١- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ)،مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر،(بيروت،مكتبة لبنان،١٤١٥هـ/١٩٩٥م)،١/٢٧٨.

١٢- الجوهري:إسماعيل بن حماد،الصحاح في اللغة والعلوم/معجم وسيط،ط١(بيروت،دار الحضارة العربية،١٩٧٥م)،٣/١٩٨.

١٣- م.ن،١/٢٧٨.

١٤- النويري:شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت٨٢١هـ)،نهاية الإرب في فنون الأدب،(القاهرة،دار الكتب المصرية،١٩٢٩م)،١/٢٧٧.

١٥- الإدريسي:أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١(بيروت،عالم الكتب،١٨٨٩م)، ٢/٦٥٦.

١٦- ابن منظور:م، ن، ٢/١٠٧.

١٧- سوسه:احمد، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين،(بغداد،وزارة الثقافة والإعلام،١٩٨٠م)،صـ٦٠.

١٨- ابن الأثير:محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ،تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي،ط٢(بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٥م)، ٩/ ٣٣٠.

١٩- ابن بطوطة:محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، تحفة النظار وغرائب وعجائب الأمصار،تحقيق على المنتصر الكتاني،ط٤(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ)ن٢/٧٤٥-٧٤٦.

٢٠- ويلكوكسي: ويليم، من جنة عدن إلى نهر الأردن،تعريب محمد الهاشمي،(بغداد، دار المعارف،١٩٥٥م)،صـ صـ١٠-١١.

٢١- سوسه:م.ن،ص٧٢.

٢٢- م.ن،

٢٣- الكامل في التاريخ، ٨م٤٢٢.

٢٤- ياقوت الحموي:شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت، ١٩٥٧م)، ٥/ ٤٢١.

٢٥- م.ن ؛ القز ويني: زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت،١٩٦٩م)،صـ٢٨١.

٢٦- التنوخي: أبو على المحسن بن على (ت٣٨٤هـ)،نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة،(بيروت، ١٩٧١هـ)،٨/٢٣٦.

٢٧- سوسه:م.ن،صـ صـ ٧١٠٧٢.

٢٨- إلهيتي:د.صالح فليح حسن، نواعير الفرات ونواعير العاصي/دراسة جغرافية مقارنه،(بغداد،وزارة التعليم العالي/مركز إحياء التراث العلمي العربي،١٩٩٠م)،صـ صـ١٢٢-١٣٠.

٢٩- النويري:م.ن، ١/٢٧٧.

٣٠- م.ن.

٣١- م.ن.

٣٢- سبط بن الجوزي:مظفر الدين بن قزاوغلي، مرآة الزمان، (حيدر آباد الدكن١٩٥١م)،٨/١٢١.